

الخاتمة

من خلال فصول هذه الدراسة المتواضعة، تم التطرق لإحدى المشكلات الهامة والمستترة التي بات يعاني منها فئة كبيرة من عنصر نشط في المجتمع ألا وهو الشباب على اختلاف أوضاعهم وزمانهم و مكانهم؛ هذه المشكلة تتمثل في ظاهرة الاغتراب الاجتماعي، وما ينجر عنها من مشكلات نفسية واجتماعية تحت تأثير وسائل الاتصال الحديثة.

ان البث الفضائي الوارد من الفضاء لا يمكن بأي حال من الاحوال تجاهله أو محاولة منع الأفراد من استخدام وسائل الاتصال الحديثة، و ذلك بسبب استخدام تقنيات متقدمة تفوق بكثير إمكانيات المجتمع الذي ننتمي اليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان هذه الوسائل تتجاوز حدود الدول وبإمكان الفرد أن يستعملها متى شاء وكيفما شاء ودون أخذ الاذن من أحد.

فالمسألة ترتبط بكيفية الاستخدام وأنماطها وعاداتها... فالتلفزيون مثلا ليس المهم فيه ما يقدمه من محتويات وبرامج، فالواضح أن البرامج ذات الجاذبية ادعى على جذب الانتباه من تلك البرامج الأقل جاذبية التي ينصرف انتباه الفرد عنها، ولكن الأهم في كل هذا هو الوسيلة في حد ذاتها، والمسألة ترتبط بالاستخدام و خصائص الوسيلة وفترات مشاهدتها.

إن الانترنت و شبكتها العنكبوتية مسكونة الآن بأفراد ومؤسسات، وداخل هذا المكان المسكون بزغت أنواع عدة من العيش الاجتماعي؛ جماعات لا مكانية يبعد أعضاؤها عن بعضهم البعض جغرافيا.

داخل هذه الظاهرة، ظاهرة المجتمع الافتراضي، يجري يوم بعد يوم بناء مجتمعات انسانية كاملة "أخرى" افتراضية ولكن حية تتعارض مع المجتمعات الواقعية مؤدية دوما الى تعميق التناقضات داخل المجتمعات التقليدية.

الخاتمة

إن وسائل الاتصال الحديثة طريق بها وسائل نقل، فهذه الوسائل طريق حرة ومفتوحة للجميع، و كما كل طريق فان التنزه على الطريق يؤدي الى مواجهة مخاطر فقد يحظى الانسان بلقاءات سيئة و قد لا ينهج طريقه الصحيح أصلا.

هذه الوسائل التي نركبها نتحاور مع سكانها ومع ازدياد مستعمليها وازدياد فترات التحاور والنقاش، فلا بد من تأثيرات متباينة تبعا للسياقات الاجتماعية و الثقافية وهذه الوسائل سلاح ذو حدين؛ إنها تقنيات تفتقر الى تلك الخصائص التي تميز بها التعبير الشفهي (نبرة الصوت، حركات الوجه، حركات الجسم و تموضعه...)، الذي يقدم معلومات مفيدة لا غنى عنها للاتصال الحقيقي الاجتماعي.

إن الاتصال الحديث بوسائله الحديثة يؤدي الى غياب أو تقليص الاشارات الاجتماعية الى أدنى حدودها، وهي اشارات تحدد السياق الذي يجري الاتصال في اطاره، وهذا ما يجعل الاتصال الالكتروني يجري في فراغ اجتماعي يؤدي الى مزيد من تفتت العلاقات الشخصية.

ومن المؤكد أن قوة تكنولوجيا الاتصال في إحداث التغيير تفوق ما سبقها من تكنولوجيا، وهي تختلف في شيء أساسي؛ أنها تقطع طولا وعرضا جميع الأنشطة المجتمعية- ولنقل معظمها حتى الآن- من أعمال المهارات الدنيا إلى العليا، ومن الصناعة إلى الخدمات، ومن النواحي الاجتماعية إلى الأمور البيئية، وفي غياب الأسس العلمية لاستخدامها يرى البعض بأن تكنولوجيا المعلومات تكنولوجيا نظيفة ودودة مع الإنسان والبيئة ليس ما لها ما لتكنولوجيا التصنيع من آثار جانبية، وتصل الحماسة ببعضهم إلى حد الزعم بأن تكنولوجيا المعلومات قادرة على أن تمحو ما خلفته ثورة التصنيع من مشاكل بيئية و اقتصادية و أخلاقية.

وهؤلاء أغفلوا أن الآثار الجانبية للتكنولوجيا لا تظهر عادة في مراحل تطبيقها المبكرة بل بعد انتشارها و تغلغلها في كيان المجتمع الإنساني، أي بعد فوات الأوان حين لا يبقى أمامنا إلا التباكي على "الأم- الطبيعة" والحديث عن إجراءات الحد الأدنى لإبطاء معدلات التدهور الاجتماعي والأخلاقي.

الخاتمة

إن شبكة وسائل تكنولوجيا الاتصال الدولي والعالمي تنطوي على سمة مهمة هي التفاعلية، وتساهم في تنشيط العولمة حسب معالم الساحة العالمية الجديدة والمشكلة المطروحة هنا هي في توجيهها إلى صياغة ثقافة عالمية قوامها قيم ومعايير الغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب وقولبتها في ثقافة عالمية واحدة؛ لأنها لا تؤمن بالخصوصيات التاريخية والثقافية للأمم ولا بسيادتها السياسية الكاملة، عاكسة بذلك إرادتها في الهيمنة على العالم.

وإذا كانت هذه الوسائل إحدى أهم ثمار الثورة الاتصالية الأخيرة وأحدثها؛ لكن هذا لا يعني أنها خير مطلق، بل إن لها مخاطر أهمها قدرتها على عولمة توزيع الخدمات غير المادية دون مراقبة فعالة لمضامينها التي قد تثبت دعايات سياسية مغرضة وبرامج لا أخلاقية هدامة، وعلى تسهيل وتوسع تبادل البرامج المقرصنة عبرها.

ومهما كانت طبيعة الإدمان، فعالها يحفل بالسلبيات وبأنواع الشرور والاختراقات القانونية: القرصنة، "الهاكر" غسيل الأموال، المخدرات، القمار، بيع وصناعة الممنوعات الساموم والمتفجرات...، الإباحية الجنسية، الإدمان، خرق حرمة خصوصيات الأفراد من قبل خواص أو من طرف شركات التسويق من خلال مسابقات وجوائز، إضاعة الوقت.

ولأن شبكة الاتصال الحديثة لا تعترف بالحدود الجغرافية الدولية ولا يمكن حجبها بالكامل عن مستخدميها لأسباب عديدة، أهمها تلك التي أفضلت المحاولات التي جرت سابقا لمنع استقبال القنوات التلفزيونية الفضائية أو حجب المواقع الإلكترونية غير المرغوب فيها؛ فالممنوع مرغوب فيه والتحايل حليفه.

وبما أن هذه الدراسة تنطلق من مقاربة نظرية فحواها أن "الوسيلة هي الرسالة" فقد اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن الشباب يستخدم هذه الوسائل المتمثلة في التلفزيون والانترنت والهاتف الجوال إلى حد الإدمان في بعض الحالات، ولذلك فإن تأثير هذه الوسائل يكون ايجابيا كلما ارتبط مضمونها بالقيم السليمة، وسلبيا كلما زادت مدة الاستخدام عن حدها الضروري وارتبط مضمونها بالقيم السلبية.

الخاتمة

فبالذين يتعرضون أكثر لوسائل الاتصال الحديثة هم الأكثر عرضة للابتعاد عن قيم المجتمع، وبالتالي الاحساس بالغربة عنه ونمو مشاعر الاغتراب الاجتماعي وما ينجر عنه من آثار سلوكيو ونفسية يصعب معالجتها.